حول الفقه الاسلامى
والفقه الرومانى

قرأنا فى (الرسالة) الثامنة بعد المائة مقالة الأستاذ محمد محسن البرازى ، فى الردّ علينا ، فاذا الأستاذ برغم تفوقه على أكثر أقرانه من الشباب الذين درسوا فى أوربة بذكاء كان موضع اعجابنا ، قد أخطأ فهم كلامنا ، فأخذ منه بعضاً وترك منه بعضاً . وحمّل كلامنا ما لا يحمل ، وأخذ منه عبارة على غير الوجه الذى وضعناها عليه ، ثمّ لم يدّخر وسعاً فى ردّها ، ولم يتورع عن أن يسميها زعماً لا يمكن لعاقل أن يزعمه ، وما لم يمكن للعاقل يمكن للمجنون . . . فكان الجنون جزاؤنا لأنا لم نذهب الى الأستاذ فنقرأ له كلمتنا كلها ، التى لم يقرأ منها إلا ما فيه الردّ علينا ، فكان أمرنا معه كما قال المثل الفقهى :

« زَنَّاهُ عَقَدَّم . . . »

* * *

لا يا أستاذ ! أنا ما قلت : « إن الفقه الرومانى جديد لفقه طائفة من العلماء الخ . . . » وسكتّ ، ولكنى أوردت هذه الجملة فى معرض الفرض والتقدير ، فقلت (وهذه عبارتى بالنص) :

« . . . على حين أنه لا يمكن أن يقوم دليل علمى واحد على أن الفقه الاسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، (وقد علق على هذه الكلمة أستاذنا الجليل الزيات بالتفريق بين الأخذ والتأثر) إلا إذا كان القرآن مترجماً عن لغة الرومان ، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رومانياً خرج من أبوين عربيين ، والذى نقوله ، (وليتنبه القراء الذى نقوله) إنه إذا كانت هناك علاقة بين الفقهين (إذا كانت) فان الفقه الرومانى هو المقتبس عن الفقه الاسلامى ؛ ودليلنا على ذلك أن الفقه الرومانى الحاضر جديد لفقه طائفة من العلماء بعد أن اندثر الفقه الرومانى القديم ، وهذا الدليل على علاته (تأمل قولنا على علاته) أقوى من دليلهم على دعواهم ، فليثبتوا إن استطاعوا أن الفقه الرومانى الحاضر هو القديم بذاته ، وليأتونا بالأسانيد الصحيحة ، والروايات المضبوطة ، كما نأتيهم نحن بأسانيد حديثنا ، وروايات سنتنا »

هذه هى الجملة ، وليس معناها يا سيدى أنا نعتقد بأن الفقه الرومانى جديد الخ . . ولم يكن موضوع مقالنا الفقه الرومانى ، ولكنها كلمة جاءت عرضاً ، ومعناها أن هذه الدعوى على علاتها (أى مع اعترافنا بأن فيها شيئاً) أقوى من دليلهم على دعواهم أن الفقه الاسلامى مأخوذ من الرومانى ، أى أن دليلهم ليس بشىء مطلقاً ، ما دام دليلنا على هذه الدعوى الغريبة أصحّ منه ، هذا هو المقصد ، وهذا أسلوب من أساليب البيان يفهمه من كان من أهله !

ثم إن هذا كله على فرض أن هناك علاقة بين الفقهين ، ووجود العلاقة هو المقدمة المنطقية اللازمة لهذه النتيجة ، ونحن ننكر هذه العلاقة ، والأستاذ قد أنكرها وبيّن أنه لا تشابه فى أحكام الفقهين فى الأحوال الشخصية الخ . . فنحن إذن متفقون على اسقاط هذه النتيجة

ولست أقول هذا الآن ، ولكن يقوله كلامى المنشور فى (الرسالة) الواحدة والتسعين منذ أربعة أشهر كاملة

فهل يصحّ للأستاذ أن يقيم القيامة علينا ، ويزلزل بنا الأرض ، من أجل هذه الكلمة ؟ . . .

* * *

هذا ، وإن فى مقال الأستاذ شيئاً عن الموازنة بين رواية الحديث ونقل الفقه الرومانى ، قد يفهم منه أن الفقه الرومانى أصحّ سنداً ، وأثبت نقلا ، لأنه — كما يقول الأستاذ — قد دوّن فى عصر جامعه ومصلحه جوستنيان ، والحديث إنما شرع فى تدوينه بعد زهاء قرن ونصف قرن من تاريخ الهجرة ، ولأنه لادليل على الصحة بعد الوثائق الأثرية ، والنسخ المخطوطة القديمة . فنحن ننبه من قد يفهم منه هذا الأمر بأنه باطل وليس بشىء

ونحن نكرر وصية الأستاذ (الشاب) لشبابنا ألا يكونوا أسرى عواطفهم من تعصب للدين والقومية (ونزيد : أو تعصب عليهما) ، وكره لأوربة والثقافة الغربية (ونزيد : أو موت فى عشقهما) فيسرفوا فى القول حتى يجانبوا النطق

ونسأل الله أن يُرينا الحقّ حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه . ونشكر للأستاذ الفاضل جهده وفضله ما

على الطنطاوى